مقصورة ابن دريد

وأثرها في الشعر العماني

إعداد

د. سعيد بن سليمان العيسائي

أستاذ الأدب الحديث والعماني المساعد

الملحق الثقافي لسلطنة عمان

بالقاهرة

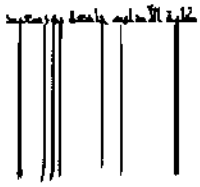

بسم الله الرحمن الرحيم

مقصورة ابن دريد الأزدي العماني ذائعة الصيت وهي أشهر -الأعمال الأدبية، حيث انبرى علماء أجلاء لشرحها في مختلف العصور، واتجه إليها كثير من الشعراء .

تقديم

بعارضونها، ويخمسونها، ويشطرونها فتعددت شطورها وتخميساتها، ومعارضاتها، على نحو لم يقع مع أي عمل أدبي.

وتقع هذه المقصورة في أكمل نسخها في أكثر من مائتين وخمسين بيتا، ضمنها صاحبها مختلف آرائه عن الزمن والحياة والأخلاق فضلا عن أوصافه للكائنات الطبيعية وإشادته ببعض أعيان عصره، وقد اختلف النقاد في تقييمها بين من يعدها شعراً تعليميا، غايته تمكين قارئها من كم كبير من الرصيد المعجمي، وبين من يعدها قصيدة شعرية غايتها في الأساس مدح ابني ميكال اللذين أحاطا الشاعر بالرعاية.

وربما تكون المقصورة قد حققت الرأيين معاً، حيث أدت الغاية التعليمية، كما وجدت القبول لدى الشعراء والأباء في مختلف العصور والأزمنة [١].

وقد عارض ابن دريد أربعة من الشعراء هم :

أبو الصوفي في قصيدته التي طالعها : [٢]

أشغفٌ يزعجني أم النَّوى ... أم نازُ شوقٍ أم تباريحُ الجوى ؟

وأبو مسلم البهلاني في مقصورته التي طالعها : [٣]

تِلكَ رُبوعُ الحي في منفَح النقا ... تلوح كالأخلال من جد البِلَى

وعبد الله الخليلي في مقصورته التي طالعها [٤]

يا سارِيَ البرقِ بهلهل السما ... يخط أسطار كلألاءِ السنَا

وهلال السيابي في مقصورته التي طالعها [٥]

يا ساري البرق على سفح النقا هبك استعرت الدمعي عن الحيا

وسيتناول البحث مقصورة ابن دريد وأثرها في هذه القصائد الأربع.

ابن دريد الشاعر والمقصورة.

قبل الدخول في تحليل المقصورة وصلتها بالمقصورات العمانية يجدر بنا الحديث عن ابن دريد ومقصورته بشيء من الإيجاز.

اسمه ونسبه :

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي العماني-البصري اللغوي [٦]. ويضيف د. علي عبد الخالق إلى اسمه ونسبه أنه أبو بكر أحمد بن محمد بن ابي الحسن بن دريد الأزدي. ولد في البصرة سنة ٢٣٣ -هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ وينتمي نسبه إلى عمرو بن مالك بن فهم [٧] وينقل السيد مصطفى السنوسي عن غالب بن علي قوله: " أن ابن دريد حديدي، وبنو حديد قومه ما زالو في (نما) المعروفة اليوم بالسيب من الباطنة " [٨].

انتقل ابن دريد مع عمه الحسين عند ظهور الزنج إلى عمان فكان بها اثنتي عشرة سنة انصرف إلى البصرة، فأقام بها دهراً، وصحب ابني ميكال: الشاه وأخاه وقلداه ديوان فارس، و كان سخيا كريماً، ويقال إنهما وصلاه عليها بعشرة آلاف درهم وفيهما يقول:[٩]

حاشى الأمرين اللذين أوفدا علي قبلا من نعيم قد صفا.

وكان ابن دريد إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والشعر[١٠]، وكانت ولادته في عصر العلم الذهبي " عصر هارون الرشيد وولده المامون[١١].

شيوخه وتلاميذه

من أشهر شيوخه عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي. ومن أشهر تلاميذه : أبو سعيد السيرافي، والمرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني وأبو علي القالي، وابن خالويه[١٢]، وهو ممن أكسبوا مدرسة البصرة شهرة وازدهارًا، بتميزه في العلم والشعر[١٣].

المقصورة :

تحدثنا عن مقصورة ابن دريد في بداية تقديمنا لهذا الحديث ونجمل الحديث عنها بشئ من الاختصار في هذا الموضوع.

يمكن القول إن مقصورة ابن دريد هي من أروع ما أبدع[١٤]، وهذه المقصورة أنشأها في مدح الأميرين الميكاليين وقد طبعت بالشرح ويدونه مرارا[١٥].

وتعد المقصورة عملا مستقلا، حفظت من الضياع، واهتم بها الأدباء وتناولوها في أزمنة مختلفة بالمعارضات والتخميس والتوشيح والإعراب والشروح التي بلغت خمسة وثلاثين شرحا، وامتد الاهتمام بها إلى اللغات الأخرى[١٦].

ويصنف بعض الدارسين هذه المقصورة ضمن الشعر التعليمي، والسبب في إلصاق الصفة التعليمية بالمقصورة، ربما لأنها كتبت وابن دريد يومها معلم ابن ميكال وأن كانت القصيدة تحمل من تعليم الحكمة أكثر مما تحمل من تعليم اللغة[١٧].

ويرى الدكتور أحمد درويش أن مقصورة ابن دريد " واحدة من أشهر القصائد المفردة في تاريخ الشعر العربي[١٨]، ويضيف قائلاً وإذا استثنينا قصيدة في المديح النبوي كالبردة ومعارضتها وتخميساتها فإن القصائد المفردة الأخرى التي تقف في جانب المقصورة من حيث الشهرة والاهتمام على الأقل سوف تكون قليلة[١٩].

وتعد هذة المقصورة من أحسن شعر ابن دريد وأجوده، ولها أهمية خاصة في الأدب، ويعزى ذلك إلى أنها خلاصة تجارب تاريخية طويلة، وإشارة لتاريخ كثير من المشهورين، أمثال (امرئ القيس) و(جزيمة الأبرش) صاحب (الزباء)، و(يزيد بن المهلهب بن أبي صفرة)، (سيف بن ذي يزن) و (عمرو بن هند)[٢٠].

لغة المقصورة ومعجمها :

تحتشد مقصورة ابن دريد بالزخم المعجمي واللغوي حيث استخدم فيها ابن رديد نحو ثلث الأسماء العربية المقصورة[٢١]، ومرد هذا الثراء المعجمي واللغوي إلى أمرين هما: طبيعة البناء اللغوي والمقدرة اللغوية.

وفي هذا يرى الدكتور أحمد درويش أن هذا النوع من البناء اللغوي الذي يرد في المقصورة، يتفق مع الأهداف التي كانت تقال من أجلها أمثال هذه القصائد، وهي تعود في جزء منها إلى إثبات (المقدرة اللغوية)، لأنها تنسج على نمط قديم، قد نمت معارضتها مرات، ومن ثم فالشاعر يضع في الحسبان، احتمال المقارنة مع سلسلة من الشعراء سبقت في النسج منوال القصيدة، وأولهم شاعر القصيدة نفسه، وهو هنا ابن دريد[٢٢].

وربما يعود هذا الثراء والزخم اللغوي إلى ما أخذه ابن دريد من الشعراء السابقين، وما حفلت به مقصورته من إشارات أو تضمينات أو اقتباسات من آيات أو حكم أو أمثال أو ذكر لشخصيات، وهو ما أكد عليه شارحا المقصورة ابن هشام اللخمي وابن خالويه في أكثر من موضوع.

وهنا يذكرنا بقول الناقد الفرنسي (بوفون) الذي يفيد " أن الأسد ليس هو الأسد بل هو مجموع ما التهمه من خراف " .

ومن هذه أمثلة الإحالات قوله :

واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضا

وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[٢٣]

وقوله :

فكان كالليل البهيم حَلّ في أرجائه ضَوْءُ صباحٍ فانْجَلَى

وأخذ هذا من قول الفرزدق : [٢٤]

والشَّيبُ ينهضُ بالسَّوادِ كأنهُ لَيْلٌ يَصِيح بجانبيه نَهَارُ

ويرى الدكتور علي عبد الخالق أن المقصورة قد حفلت بالمادة اللغوية، والثروة اللفظية الكثيرة، بما اشتملت عليه من وصف البيئة العربية، وما فيها من حديث عن السيوف والإبل

والخيل والنوء، وذكر الفر والكر، أي أن المقصورة خواطر ذاتية، وخلاصة لتجارب (ابن دريد) مع الدهر والمجتمع في صدق أناة، ولغة قوية، ولفظ عن الغرض [٢٥].

وقد أثرت هذه الثروة اللغوية واللفظية والمعجمية التي تميزت بها هذه المقصورة على القصائد المعارضة، بما فيها المقصورات العُمانية.

ولا أدل على ذلك من وجود كثير من ألفاظ مقصورة ابن دريد في مقصورة الخليلي وخصوصاً مثل قوله (النقا، الغضا، النوى، البرى، الصدى، الكدى) [٢٦].

إن هذا الزخم والثراء اللغوي انعكس على المقصورات العمانية، ليس على مستوى اللغة فحسب بل على مستويات الصورة والاقتباس والتضمين وبعض الجوانب البلاغية والموسيقى .

الصورة الشعرية بين ابن دريد ومعارضيه :

من النقاد والدارسين من يَعُد الصورة جزءا من أجزاء العمل الفني الإبداعي مثل اللغة والمحسنات البديعية والاقتباس والتضمين والموسيقى الشعرية، وبعضهم يَعُد الصورة نتاج كل هذه العناصر مجتمعة فمن خلالها تتشكل الصورة الشعرية.

يعرف أزرابلوند الصورة بأنها: "تلك التي أقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن "[٢٧].

أما سي دي لويس فيعرفها بأنها " العقل الإنساني الهادف لإيجاد صلة مع كل ما هو حي أو كان ميتاً. [٢٨].

ويرى الدكتور عيسى السليماني أن الصورة تشكل محورا مهما في بناء الشعر، وتعد أهم مكوناته لأنها تحدث الذخيرة الذهنية للغة- أي ماهو غائب- لأنها قريبة من اللغة، كما أنها أحد المؤسسين للوظيفة الشعرية من خلال قانون الانزياح وتنويه " [٢٩].

الصورة الشعرية أبوم مسلم أنموذجا

شاعرنا الكبير أبو مسلم هو من أكثر الشعراء العمانيين الذين أثاروا حفيظة النقاد والدارسين فانبروا يدرسون أشعاره وينقدونها ويوضحون ما فيها من تجليات نقدية وفنية وإبداعية، وهو من أكثر الشعراء العمانيين من حيث التأثر بمقصورة ابن دريد مع استقلال في الفكر والأسلوب والمعالجة لأنه نحا منحى يختلف فيه مع ابن زيد في بعض الجوانب الفنية كاللغة والموسيقى وبعض الأفكار العامة.

من الصور التي استخدمها أبو مسلم صورة البناء النامي في هذا النموذج الذي يقول فيه أبو مسلم:

حتى متى لنصبني أمنية ... في نصرة الله فتعدوني العنى

كأنني مُقَبِّل في شَزَنٍ ... يزداد في الشد إذا لُنت وهي

أشاطر النجم السهاد ساريا ... فيَغْرُب النجم وعيني في السرى

فالصورة الشعرية "تظهر فيه على شكل بؤر منفصلة تتلاحق وتتابع، كل بؤرة تشكل صورة جزئية، وفي النهاية تصل التجربة إلى القناة التصويرية التي أشارت إليها تلك الأحداث الصغيرة" (٣٠).

ويتحقق هذا البناء النامي " نتيجة التجربة التفاعلية التي تتبدى فيها رؤية الشاعر، ولا تتفح، بل يخيم عليها ضباب مضلل حتى يكتمل البناء المتنامي للوحدات الجزئية للصورة، وبذلك التخلق تكون صورة التجربة التي تحقق مجموعة من العلاقات الجمالية بين الصور التي تتفاعل فيما بينها وتكون في النهاية القصيدة " (٣١).

ومقصورة البهلاني استنهاضية تنادى بضرورة يقظة الشعب وثورته وتطلعه لنيل حقوقه، وأن ذلك لن يكون إلا من خلال المعارك الطاحنة التي ذكر فيها الخيل ويشتد النزال

وتثار المعارك بالغبار ، بحيث لا يدري النهار من الليل إلى آخر ما جاء في وصف الجيش (٣٦).

وتتضح هذه الصورة من خلال الأبيات الآتية:

ما تنفع الخيرة فيَ مكمنِها ... والسيف في قرابة لا ينتضي

حتى تكرّ الخيلِ كِسفًا ساقطا ... تهوى هوي العاصفات في الوَغى

في فَرْقِ حالكة أركانه ... يجلل في الأرض الدُّجَى رأد الضحى

يحسر لهام أرغن هطلع ... غمر-دخاس لجب صعب الذرى

يقل في الجو عجاجاً لو هوى ... عليه (رضوى) لم يصل إلى الثرى

تعشش العقاب في أحضانه ... وتنشط إليه للخلا

لولا بروق المشرفيات به ... لم يهتد الجيش الأمام والقفا

تصطدم الأرض بما تقدحه ... سنابك الجراد وتقراع الشبا

إلى أن يقول :

بكل صنديد عتيك داغر ... مهول الكبة شداد المنطى

يـــستحقب الحتـــف وشـــهى حينـــه إن يكـــن الحتـــف انتـــصارا للهـــدى

تهـــوى التـــصور ســـيفه ورمحـــه لمـــا يتيحـــان لهـــا القـــرى

كأنمـــا جـــرازه مـــن قلبـــه لا ينتحـــي ضـــربة إلا فـــرى

وهذه " صورة رائعة ودقيقة للمعركة بما اجتمع فيها من ضرب السيوف وإثارة الغبار وتعشيش العقبان والقداح الشرر من تلاقي السيوف، واصطدام حوافر الخيل بالصخور، حتى لكأن الأرض أتون نيران والسماء بروق ورعود. وبهذه الصورة يهدف الشاعر إلى إيقاظ الهمم وتصوير أثر القوة في انتصار الحق"[٣٤].

وهذه الصورة للمعركة تذكرنا بصورتين قديمتين مشهورتين للمعركة، هما الصورتان اللتان رسمهما المتنبي وبشار بن برد حين يقول:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

والصورة التي رسمها المتنبي حين يقول:-

تمـر بـك الأبطـالُ كَلْمـى هزيمـة ووجـــه وضّـــاح وثغـــرك باســـم

تثـــرتهم فـــوق الأحيـــدب نثـــرة كمـــا نُثـــرت فـــوق العـــروس الـــدراهم

وإذا كانت مقصورة (ابن دريد) تحمل محور شخصية الشاعر ذاتها، فإن مقصورة أبي مسلم حملت دعوته الوطنية، التي استنهض بها مواطنيه في (عمان) و (زنجبار) وحثهم على القيام ضد الاستعمار، وعدم الخضوع له [٣٥].

ويمكن القول إن الحركات الرئيسية المشكلة للقصيدتين تختلفان تمام الاختلاف، إلا أننا نجد موضوعات جزئية عالجها النصان وهي: [٣٦].

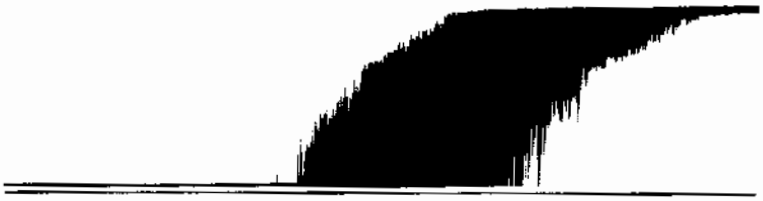

١- البكاء على المشيب ٢- طيف الأحباب ٣- عتاب الدهر

٤- الجديدان يبليان ٥- وصف الرحلات ٦- وصف الخيل

٧- وصف الفارس ٨- وصف السيف ٩- وصف الفرس

١٠- وصف الذات ١١- البرق ١٢- الحكمة.

تناص المقاطع بين ابن دريد وأبي مسلم

من خلال الدراسة التي قام بها الدكتور محمد المحروقي للموازنة بين مقصورتي ابن دريد وأبي مسلم تبين له أن أبا مسلم لم يستخدم مقاطع المقصورة المعارضة إلا في ستة مواضع فقط على مدار المقصورة بأكملها. (٣٧).

المقاخصهد! أن البيتان

يقول ابن دريد:

وأخترم الوضاح من دون التي أمامها سيف الحمام المنتضى

ويقول أبو مسلم:

إن هزك المرض هز طوده أو هزك الهول فصيفاً منتضى

فيلتقي هذان المقاطع هذان البيتان :

ومنها كذلك هذا البيتان:

ابن دريد:

لست إذا بهظتني عمزة ممن يقول بلغ السيل الزُبى

ويقول أبو مسلم:

جامَنَ البلاءُ بالبلادِ طَاميا فَبَزَّ حتى بلغَ السيل الزُبي.

والسبب في التقارب أن كلا البيتين يوظف مثلاً سائراً.

وانتقلت تأثيرات هذا المثل السائر إلى مقصورة أبي الصوفي فنراه يوظف هذا في قوله:[٣٨]

إن كُنْت تسعى جاهدا يا دهرُ في حطي فقصدا بلغ السيل الزبى

ويلتقي أبو مسلم مع المتنبي حين يقول:

أنهو والهوب أواري مساعيـــــا عن مشرب أشربه على القَذَى

فهو يتحدث عن نفسه وأنه يكتفي بالقليل من القوت صيانة لماء وجهه عن السؤال، وهو يترك الماء إذا أصابه قذى مع شدة حاجته إليه. [٣٩].

وأخذ المعنى من بيت المتنبي الذي يقول فيه:-

وأصدى فلا أبدى إلى الماء حاجـة وللشمس فوق اليعملات لعاب

ابن رديد وأبو الصوفي :

عارض أبو الصوفي مقصورة ابن دريد المشهورة

التي يقول في مطلعها (الرجز): [٤٠]

يا ظبية أشبه شيء بالمَها تَرْعَى الخُزَامي بين أشجارالنقا

بقصيدة يقول في مطلعها (الرجز): [٤١]

أشغف! يزعجني أم النوى أم نار شوق أم تباريح الجوى

وقد تحدثنا في بداية هذا البحث عن مقصورة ابن دريد، أما مقصورة أبي الصوفي فقد بلغت خمسة وثمانين بيتا، افتتحها بشكوى الشوق والفراق ليصل إلى الزمن وتباريحه، وتقلبه، مزاوجا بين الشكوى والحكمة، وفي البيت الخمسين يبدأ في مدح السلاطين البوسعيديين، ليصل في البيت الثاني والستين إلى مدح السلطان فيصل الذي يخصص له باقي القصيدة.

وقد التقت القصيدتان في البحر والقافية، وفي كثير من الكلمات والمقاطع، واشتركتا في بعض عناصر البنية الدلالية، وخاصة ما يتعلق بشكوى الزمن وبالمدح، وانفرد ابن دريد بالوصف، وإيراد الأمثلة التاريخية [٤٢].

ابن دريد

ومن أمثلة تشابه المقصورتين نورد هذين الشاهدين:

حاشا الأميرين اللذين أوفدا ... على ظلا من نعيم قد ضفا

هما اللذان أثبتا أملاً ... قد وقف اليأس به على شفا

تلاقيا العيش الذي رنقه ... صرف الزمان فاستماح وصفا

وأجريا ماء الحيا لي رغد ... فاهتز عضبي بعد ما كان ذوى

هما اللذان سموا بناظري ... من بعد إغضاتي على لذع القذى

هما اللذان عمدا لي جانباً ... من الرخاء كان قدماً قد عفا

وفداني منة لو قرنت ... بشكر أهل الأرض عني ما وفى

إن ابن موكال الأمير انتاشني ... من بعد ما كنت كالشيء اللقى

ذاك الذي ما زال يسمو للعلى ... بفطنه حتى علا فوق العلى

أبو الصوفي:

ثم أسبطرت فاستقرت في فتى ... يفرج المكروه إن أمر دهى

فهو الذي ما شام طرفي مثله ... لو أنني أرمق أفلاك السما

وهو الذي أنهلتني مناهلا ... يضيق أن يضمها وسع الفضا

وهـو الـذي رأيـه عيـشي رغـدا بقربـه فكنـت غِنـداً مُـصطَفى

وهـو الـذي قُلـدني صـناعاً لـو قَـد الـدهرُ بهـن مـا عفـا

أحلنـي بـالقرب منـه منـزلا مـا حلـه غيـري ولـو نـال السمها

فلـم تـزل نعمـاه بـي موصـولة حتـى تُفـاجيني مُلمـات النـوى

وكَـمْ لـه مـن خطـة فـي المجد قـد خطـت علـى وجـه الليـالي بالـمنا

وكـم تـراث فـي العُـلى قَـدْ حـازَهُ مـن ملـك فقـد عـلا فـوق العُـلى

ابن دريد والخليلي :

عارض الخليلي ابن دريد في مقصورته ذائعة الصيت بمقصورة في ٢٥٠ بيتا يقول في مطلعها :(٤٣)

يـا مـاري البـرق بهنهـل الـدما يخـط أسـطاراً كـالألاء الـمنا

تـسوقه لـواقح ندبـة ومـزرم بيـت حنـون ورغـا

حتـى إذا ضَـرى بـه هـادره وخـاف منـه أرمـل الـدمع بكـا

فأضـحك الأرض فعادمـت وربـت وأنبـت مـن كـل زوج مـا نمـا

إنها تعبر عن وجهة نظره في كفاح الشعب العماني ودعوته للنهضة والتحرر، وهي في الوقت نفسه تصور موقف الشاعر من أحداث عصره، وخصوصا قبل النهضة وما كان يعانيه الشعب من جهل وتخلف، لذا نجد اختلافا في نظرة كل من ابن دريد والخليلي للحياة، وقسوة الدهر على كل منهما، وتحمل الشدة والصبر عليها، ووصف كل منهما للبيئة التي يعيش فيها (٤٤)

وقد لاحظنا أن الخليلي يبدأ بصورته بمناجاة البرق ليمطر على ديار، ويروي أرضها العطشى، ثم ينتقل إلى معاقبة الدهر، ويتخذ الحديث عن الدهر وسيلة لإبراز موقفه من أحداث تلك الفترة فيقول (٤٥):

وموقـــــف بلوتـــــه كأنمـــــا	يفتـر عـن أنيابـه ليـث الـشرى
وقفتـــــه والليـــــالي أنـــــه	بـــين عزيـــز النائبـــات والعـــون
أشـــاطر الـــشعب الأســـى وإن يكـــن	لمـــا يـــشاطرني البكـــاء والأســـى

ونلاحظ كذلك أن الموقف " في مقصورة (الخليلي) شبيه به عند (الرواحي) وقد أملى عليها الموقف صورا فيها عمق وجلال يتصل بالوجدان الجمعي العام، ويستمد منه روحه وعمقه؟ فعلى الرغم من أنهما تأثرا بـ(ابن دريد) واستلهما منه الروح العامة إلا أن موقف (ابن دريد) تعبير عن وجدانه الخاص دون اعتداد بمن حوله ولم يكن في خياله، أكثر من ذلك، أما موقفهما فقد كان ترجمة لما في وجدان المجتمع من معاناة، فهما ينشدان المجد للوطن ومستقبله، ويهيبان به أن يلتفت إلى ماضيه العريق ليأخذ منه انطلاقاً إلى المستقبل فكان موقفها أكثر إيجابية خاصة وأن المقصورتين كانتا في وقتين تتشابه فيهما الأحداث والمحن التي نزلت بعمان (٤٦).

الخليلي والنقادات القديمة والحديثة :

ونقصد بذلك استخدام الخليلي في مقصورته بعض الموضوعات أو المباحث البلاغية كالاقتباس والتضمين، وبعض النقادات الحديثة كاستحضار التراث.

الاقتباس : وسنكتفي بدراسة الاقتباس واستحضار التراث عند الخليلي فقط.

يرى صاحب التبيان أن الاقتباس هو"أن يوشح الكلام بشيء من القرآن الكريم أو الحديث أو الفقه لا على أنه منه " (٤٧).

و يرى الدكتور بدوي طبانة أن الاقتباس هو " أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله تعالى خاصة "(٤٨).

وتبين لنا أن الاقتباسات الواردة في مقصورة الخليلي هي في الأبيات من (١-١٥) من المقصورة ونوردها كما يلي : (٤٩)

يـــا ســـاري البـــرق يهنهـــل الـــدما ... يخـــط اســـطارا كـــالالاء الـــدمنا

تـــــموقه لـــــواقح ندبـــــة ... ومـــــرزم بـــــين حنـــــين ورغـــــا

حتـــــى إذا ضـــــرى بـــــه هـــــادره ... وخـــــاف منـــــه ارســـــل الـــــدمع بكـــــا

فاضـــــحك الأرض فمـــــادت وربـــــت ... وانبتـــــت مـــــن كـــــل زوج ماتمـــــا

يـــــا بـــــرق داج اربعـــــي مناجيـــــا ... عـــن همـــمات الـــشوق فـــي دمـــع الحيـــا

يـــا بـــرق نـــاغ مهجتـــي ميتـــمما ... عـــن نغـــمة اللطـــف وهمـــمة الرضـــا

يـــا بـــرق حيـــا بكـــالنشج نـــدى ... لطهـــا تبـــرد تـــسعار الحـــشا

مـــا لنعســـك تعـــامي موضـــعي أذاك عهـــدا منـــك أم كـــان خطـــا

أم مـــــا لعنهلـــــك لا ينـــــالني كـــأنني مـــن فتيـــة الكهـــف فتـــى

تـــزاور الـــشمس إذا مـــا طلعـــت عنـــي يمينـــا وشـــمالا قـــي العـــدا

كـــأنني فـــي فجـــوه مـــن غمـــري تقلبنـــــي عنايـــــة الله اعتنـــــا

فـــلا يرعـــك مظهـــري ولا تخـــف منـــه فلـــو أمعنـــت ســـرك الخفـــا

علَّـــم قُـــمْ بِـــي نتلطـــف ســـيرنا أن يظهـــرَ النائـــم علينـــا مـــا اختفـــى

فـــإن تكنـــي فـــي الـــرقيم لمعـــة فتلـــك مـــن جـــذوة موســـى تجتلـــى

وإن بعثـــت بالكمـــال والهـــوى مـــن نـــومتي فـــذاك بعـــث الاوليـــا

وقد بدأ الخليلي مقصورته " بمناجاة البرق ليسح على ديار فيحيى مواتها، ويروي عطاشها، وينكر على البرق بخله على معاهده حتى كأنه فتى الكهف، لكنه يعود للافتخار بهذا الأصل العريق، وبتلك الديار التي أشرقت جنباتها بالعلم فلم ينبت على ساحها إلا النبلاء" (٥٠).

ويمكن تلمس الاقتباس في هذه الأبيات بيتا كما سوف نذكره هنا

يقول في البيت الرابع : (٥١)

فاضحك الأرض فمادت وربت وأنبتت من كل زوج ما نما

ففي هذا البيت اقتباس الكلمات " ربت، و انبتت من كل زوج " وهذا الاقتباس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٥٢].

ويقول في البيت الرابع عشر : [٥٣]

فإن تكني في الرقيم لمعة فتلك من جذوة موسى تجتلى

فقد اقتبس الشاعر كلمة " الرقيم " من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[٥٥]

استحضار التراث :

سار معظم الشعراء العمانيين المحدثين والمعاصرين على نهج استحضار التراث أو الرموز التراثية في قصائدهم ؛ فجاءت هذه القصائد حافلة بأسماء عدد من الصحابة والتابعين والخلفاء وقادة الفتوحات الإسلامية وأسماء المعارك والوقائع إضافة إلى شيء من القصص القرآني ذي الدلالة والإيحاءات الرمزية والتراثية [٥٦].

والخليلي واحد من هؤلاء الشعراء، وقد حفلت مقصورته بشيء من هذا الذي اشرنا إليه وبخاصة القصص القرآني الذي سوف يكون مجال حديثنا في هذه المقصورة.

وفي الأبيات من (٩-١٥) من المقصورة يشير الشاعر إلى قصة أهل الكهف التي وردت في سورة " الكهف " والتي أشار إليها القرآن الكريم في الآيات من (٩-١٧) من هذه السورة بدءاً من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[٥٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٥٨].

ويرى الدكتور عيسى السليماني أن الشاعر أراد بتلك الإشارة " وصف حاله، وكأنه يقيم لغة حوارية بين لغته الشعرية، ولغة النص القرآني، فلم يجتر النص الشعري النص القرآني، ولم يتكرر إنتاجه أو سرده، كما انه ابتعد عن امتصاص الدلالة النصية القرآنية ؛ ليعيد إنتاجها بلغته المنسجمة مع مشاعره الخاصة التي

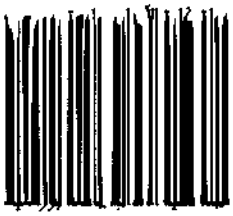

هيف استطرت فؤادي فاستطر رمقي إلى معاهد لي فيهن أشجان

وقول السيابي :

و قبل الترب إذا (سمائل) تلألأت كأنها شمس الضحى

إشارة إلى قول أبي مسلم البهلاني في نونيته : [٦٣]

هنالك انزل وقيل تربة نبتت بها الخلافة والإيمان إيمان

وتكرار مجموعة من الألفاظ والكلمات التي افتتح بها أبو مسلم بعض أبيات نونية " خل، ربْ، حي، عج " يؤكد لنا أن السيابي انتقل بعد مقدمته التي يناجي فيها البرق إلى ذكر بعض أهم المدن والأماكن التي ذكرها البهلاني من أمثال (نزوى) ، و(بهلى) ، و(إزكي) ، و(سمائل) ، و(المضيبي) ، و(سعد الشأن) ، و(الخضراء).

<u>استحضار التراث :</u>

تحدثنا عن استحضار التراث ومفهومه لدى النقاد في معرض حديثنا عن الخليلي، وسوف نستعرض هنا نماذج من استحضار التراث لدى هلال السيابي في مقصورته.

تكرر ذكر " ماء السماء " في أكثر من موضع من هذه القصيدة ومن ذلك قوله في البيت الثاني:[٦٤]

ماء السماء دون جفني عدمها وأين من جلاله ماء السماء؟

وقوله في البيت السابع : [٦٥]

يا ابن السماء قبل الأرض معي والثم ثراها فهو ينبوع الشذى

فالشاعر في هذين البيتين يستحضر التراث العربي من خلال الإشارة إلى شخصية مشهورة أو ما يسمى باستحضار الرمز التاريخي وهي هنا شخصية : " المنذر بن ماء السماء " ، ويستحضره مرة أخرى من خلال الإشارة إلى موشحة : " لسان الدين بن الخطيب المشهورة " [٦٦].

جَادك الغيثُ إذا الغيث هَمَى يا زمانَ الوصلِ بالأندلُسِ

وفيها يقول لسان الدين بن الخطيب:

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروى مالك عن أنس

اتفاقية بين ابن دريد ومعارضيه

يظهر لنا سؤال وجيه حول اختيار ابن دريد ومعارضيه للقافية المقصورة. والسؤال هو : هل القافية المقصورة كانت وراء شهرة هذه المقصورة ؟ وقد يتساءل المرء عن سر الاهتمام بموسيقى القافية المقصورة لدى القدماء مع أنها في الواقع تقدم جرسا خافتا بالقياس إلى الأحرف الأخرى كالسين والصاد والميم(٦٧).

(١٨) ابن دريد رائد فن القصة العربية، مرجع السابق، ص ٩١.

(١٩) المرجع السابق، ص٩١.

(٢٠) الشعر العماني، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٢١) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي، ص٦.

(٢٢) اتجاهات الشعر العماني، شيرين شرف الموسوي، ص ٥٣. نقلا عن الدكتور أحمد درويش في كتابه مدخل إلى دراسة الأدب في عمان ص ١٩٣.

(٢٣) ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية، مرجع سابق، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢٤) المرجع السابق ، ١٥٣،١٥٤.

(٢٥) الشعر العماني، مرجع السابق، ص ٨٥.

(٢٦) اتجاهات الشعر العماني، مرجع السابق، ص ٥٣.

(٢٧) الصورة الشعرية، سي دي لويس، ص ٤٣.

(٢٨) تطور الأبعاد العربية الإسلامية في الشعر العماني الحديث، د.سعيد بن سليمان الغيساني، ي ص ١٣١.

(٢٩) الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية، د.عيسى محمد السليماني، ص٢١.

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٢.

(٣١) المرجع السابق ص ٢٥٢.

(٣٢) الشعر العماني، مرجع سابق ص ١٩٦.

(٣٣) المنظومات الأربع لناصر بن سالم الرواحي وابن ذيفان ص ٤٠.

(٣٤) الشعر العماني مرجع سابق ص ١٩٦.

(٣٥) الشعر العماني الحديث، محمد بن ناصر المحروقي ص ٢٥٩.

(٣٦) المرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٣٧) المرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٣٨) ديوان أبي الصوفي، مرجع سابق ص١٩٢.

(٣٩) الشعر العصائي الحديث مرجع سابق ص٢٦١.

(٤٠) شرح مقصورة ابن دريد مرجع سابق ص١٤.

(٤١) ديوان أبي الصوفي مرجع سابق ص١٩.

(٤٢) المعارضة في الشعر العصائي القديم والحديث أطروحة دكتوراه مرقونة مرجع سابق سعيد بن سليمان العيساني ص٢٢٥.

(٤٣) ديوان وحي العبقرية ، مرجع سابق ص ١٢٩.

(٤٤) اتجاهات الشعر العصائي، مرجع سابق ، ص ٥٢.

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٤٦) الشعر العصائي ، مرجع سابق ص ٩٢.

(٤٧) كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان شرف الدين حسين بن محمد الطيبي ، ص٤١٦.

(٤٨) معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، المجلد الثاني، ص٦٧١.

(٤٩) وحي العبقرية , مرجع سابق , ص ١٣٠ , ١٢٩.

(٥٠) الشعر العصائي , مرجع سابق ، ص ٩١.

(٥١) ديوان وحي العبقرية , مرجع سابق , ص ١٢٩٠.

(٥٢) سورة الحج ، الآية رقم ٥.

(٥٣) وحي العبقرية، مرجع سابق , ص ١٣٠.

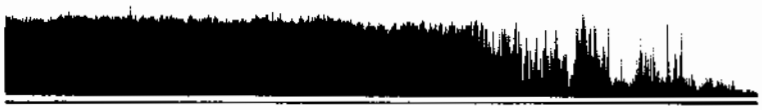

(٥٤) الرقيم ، قرية أهل الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصخرة أو لوح رصاص نقش عليه نسبهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا ، ينظر الهامش رقم (١) بديوان وحي العبقرية، ص ١٣٠.

(٥٥) سورة الكهف، الآية رقم ٩.

(٥٦) تطور الأبعاد العربية الإسلامية في الشعر العالمي الحديث، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٥٧) سورة الكهف، الآية رقم ٩.

(٥٨) سورة الكهف، الآية رقم ١٧.

(٥٩) الصورة الشعرية في بناء القصيدة العالمية، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

(٦٠) شوقي الزمان، ج ٢، مرجع سابق، ص ٥٢،٥٣.

(٦١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني ص ٣٠٧.

(٦٢) المنظومات الأربع، مرجع سابق، ص ١٢.

(٦٣) المرجع السابق، ص ١٢.

(٦٤) شوقي الزمان، ج٢، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٦٥) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٦٦) الأدب الأندلسي، د.مصطفى الشكعه ص٣٧٨.

(٦٧) ابن دريد رائد فن القصة العربية، مرجع سابق، ص ٩٢.

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢- ديوان أبي الصوفي سعيد بن مسلم العماني، تحقيق الدكتور حسين نصار، وزارة التراث القومي للثقافة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٠٢-١٩٨٢.

٣- ديوان وحي العبقرية للشيخ عبد الله بن علي الخليلي، طبع بمطابع جريدة عمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الثانية. ١٤١٠-١٩٩٠.

٤- أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، محمود بن مبارك بن حبيب السليمي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، الطبعة الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٣م.

٥- شرح مقصورة ابن دريد، تاليف ابي بكر الحسن بن دريد الأزدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢٣-٢٠٠٣م.

٦- شقائق النعمان في أسمام شعراء عمان، محمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٧- الشعر العماني الحديث أبو مسلم البهلاني رائدا، محمد بن ناصر بن راشد المحروقي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٩-٢٠٠٠م

٨- أبو مسلم الرواحي " حسان عمان "، د. محمد بن صالح ناصر، مكتبة مسقط سلطنة عمان، ١٤١٦هـ -٢٠٠٤م.

٩- ابن دريد رائد فن القصة العربية، د. أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م

١٠- الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه، د. علي عبد الخالق علي، دار المعارف، القاهرة : ١٩٨٤.

١١-تحقيق من أمالي ابن دريد، تخليف السيد مصطفى السنوني، جامعة الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٢-الصورة الشعرية في بناء القصيدة العباسية، د. عيسى محمد العليماتي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر

١٣ - اتجاهات الشعر العماني المعاصر، شير بن شرف الموسوي، مسقط مطابع النهضة، ٢٠٠٠م.

١٤- تطور الأبعاد العربية الاسلامية في الشعر العماني الحديث، د. سعيد بن سليمان العيساني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، مسقط الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٥- المعارضة في الشعر العماني القديم والحديث، سعيد بن سليمان العيساني، أطروحة لكتوراه - قدمت بجامعة محمد الخامس بالمغرب، السنة الجامعية ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

١٦- شرح مقصورة ابن دريد، الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة،-المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٧ - ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد، دراسة وتحقيق مهدي عبيد جاسم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -١٩٨٦م.

١٨- ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد، دراسة وتحقيق محمود جاسم محمد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -١٩٨٦م.

١٩- كتاب التبيان في علم المعاني-والبديع والبيان : شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق وتقديم الدكتور / هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- المنظومات الأربع لناصر بن سالم الرواحي وبن ذيخان، المطبعة العصرية، دمشق، نسخة مصورة بقاعة المجموعات الخاصة بجامعة السلطان قابوس، مسقط.

٢١ - الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، الدكتور مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.